٩ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح (١)

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار
فيدون (وهو راوي الحوار الى اشكراتس من أهالي فليوس)
سقراط . أبولودورس . سمياس . سيبيس . كريتون . حارس السجن
مكان الحوار : سجن سقراط
مكان الرواية : مدينة فليوس

اشكراتس ـ أي فيدون ! هل كنت بنفسك في السجن مع سقراط يوم تجرع السم ؟

فيـدون ـ نعم كنت يا اشكراتس

اشكراتس ـ أود لو حدثتني عن موته ، ماذا قال في ساعاته الأخيرة ؟ لقد أنبئنا أنه مات باجتراعه السم ، ثم لم يعلم أحد منا فوق ذلك شيئاً ، فليس ثمت اليوم بين بني فليوس من يذهب إلى أثينا ، كما أن أحداً من الأثينيين لم يجد سبيله الى فليوس منـذ عهد بعيد ، ولذا لم يأتنا عنه نبأ صريح

فيـدون ـ هل أتاك حديث المحاكمة وكيف سارت ؟

اشكراتس ـ بلى ، لقد حدثنا بعض الناس عن المحـاكمة ، فلم ندر لماذا نفذ فيه الأعدام بعد الأدانة بزمن طويل ، كما رأينا ، ولم ينفذ في حينه ؟ فما علة ذلك ؟

فيـدون ـ علته حادث وقع في اليوم السابق لمحاكمته يا أشكراتس ، وهو تكليل مؤخرة السفينة التي يبعثها الأثينيون الى دلفي

(١) وقع هذا الحوار بين سقراط وطائفة من أصـدقائه قبيل وفاته بساعات قليلة . وقد ذكره أفلاطون كما رواه فيدون الى اشكراتس ، أحد أهالي مدينة فليوس ، بعد موت سقراط ببضعة شهور ، وقيل بعده ببضعة أعوام ، وكان يستمع مع اشكراتس الى رواية فيدون جمع من أهالي تلك المدينة

ولما كان فيدون في حديثه راوية يقص ماقد شهد أو سمع تراه لايقتصر على ذكر الحوار الذي كان قد دار بين سقراط وأصدقائه ، بل يضيف اليه وصفاً لحركات سقراط وأعماله أثناء الحوار لم يترك منها كبيرة ولا صغيرة ويدور معظم هذا الحوار على إثبات خلود الروح بعد الموت

اشكراتس ـ وما تلك السفينة ؟

فيـدون ـ يروى الأثينيون أنها السفينة التي كان قد أبحر عليها تسيوس Teseus وصحبه الشبان الأربعة عشر الى اقريطش ، حيث نجا وإياهم ، وكان قد قيل وقتئذ إنهم نذروا لأبولو أن لو سلموا ليحجُّن الى دلفي مرة في كل عام ، وما تزال تلك العادة متصلة الى اليوم . فهذه الفترة كلها ، التي تنفقها السفينة في رحلتها الى دلفي ، ذهاباً وإيابا ، منذ الساعة التي يكلل فيها كاهن أبولو مؤخرة السفينة ، فترة حرام ، لا يجوز للمدينة خلالها أن تدنس أرضها بقتل أحد من الناس ؛ وكثيراً ما اعترضت السفينة ريحٌ أخرتها ، فأرجىء الأعدام أياماً طوالاً . فهذه السفينة كما سبق لي القول قد كللت في اليوم السابق لمحاكمة سقراط . فدعاه ذلك الى أن يلبث في السجن ولم يعدم إلا بعد الأدانة بزمن طويل

اشكراتس ـ كيف كان موته يافيدون ؟ ماذا عجل وماذا قيل ؟ ومن ذا جاوره من أصدقائه ؟ أم لم يأذن لهم ذوو السلطان بالحضور فمات وحيداً ؟

فيـدون ـ لا ، بل رافقته من أصدقائه طائفة كبيرة

اشكراتس ـ إن لم يكن لديك ما يشغلك ، فأرجو أن تقص علي ما حدث ، دقيقاً ما استطعت إلى الدقة سبيلاً

فيدون ـ لا شاغل عندي ، وسأحاول أن أجيبك إلى ما رجوت ، فليس كذلك أحب إلي من أن أكون ذاكراً لسقراط ، سواء أكنت أنا محدثاً ، أم كنت مستمعاً إلى من يتحدث عنه

اشكراتس ـ لن تجد من يسامعيك إلا نفوساً ترغب فيما رغبتَ فيه ، وإني لآمل أن تكون دقيقاً ما وسعتك الدقة

فيـدون ـ إني لأذكر ما اعتراني من إحساس عجيب ، إذ كنت إلى جانبه ، لقد كنت بازائه غليظ القلب ، ياأشكراتس ، لأني لم أكد أصدق أني إنما أشهد صديقاً يلفظ الروح . إن كلماته وقسماته ساعة الموت ، كانت من النبل والجلد ، بحيث بدا في ناظري كأنه رافل في نعيم ، فأيقنت أنه لا بد أن يكون بارتحاله إلى العالم الآخر ملبياً لدعوة من ربه ، وأنه سيصيب السعادة إذا ما بلغ ذلك العالم ، إن كان لأحد أن يعيش ثمت سعيداً ؛ فكان طبيعياً ، وتلك حاله ، ألاَّ تأخذني عليه الرحمة ، ولكني مع ذلك

لم أجد فى الحوار الفلسفى (إذ كانت الفلسفة موضوع حديثنا) ما تعودت أن أجده فيه من متاع ؛ لقد كنت مغتبطاً ، ولكنى أحسست إلى جانب الغبطة ألماً ، أنْ علمت أنه لن يلبث طويلاً حتى يموت . لقد ساهمنا جميعاً فى هذا المزيج العجيب من المشاعر ، فكان يتناوبنا الضحك والبكاء ، ولا سيما أبولودورس لأنه سريع التأثر — هل تعرف هذا الضرب من الرجال ؟

اشكراتس — نعم

فيدون — لقد غُلب على أمره وتخاذلت قواه . وأنا نفسى ، بل وكلنا جميعاً ، قد بلغ منا التأثر مبلغاً عظيماً

أشكراتس — من كان الحضور ؟

فيدون — حضر سوى أبولودورس من بنى أثينا ، كريتوبولس ، وأبوه كريتون ، وهرموجينس وأبيجينس ، وايشينس ، وانتستين . كذلك اكتيسبّس من أهل بيانيا ، وميتكسينوس وغيرهم كثيرون . أما أفلاطون فقد كان مريضاً فيما أظن

اشكراتس — أ كان ثمت أحد من الغرباء ؟

فيدون — نعم ، كان هناك سمياس الطيبى ، وسيبيس ، وفيدوندس ، وأقليدس ، وتربيزون الذين جاءوا من ميغارا

اشكراتس — وهل كان أرسطبّس وكليومبروتس حاضرين ؟

فيدون — لا . فقد قيل إنهما كانا فى أيجينا

اشكراتس — ومَن غير هؤلاء ؟

فيدون — هم فيما أحسب كل الحاضرين على وجه التقريب

اشكراتس — وأى حديث تناولتم بالحوار ؟

فيدون — سأسوق الحديث من أوله ، محاولاً أن تكون الرواية شاملة

ولعلك تعلم أنا قد كنا من قبل نجتمع مع الصباح الباكر فى المحكمة التى جرت فيها المحاكمة ، وهى على مقربة من السجن ، فنظل نتجاذب أطراف الحديث حتى تفتح أبواب السجن (وقد كانوا لا يبادرون بفتحها) فندخله لننفق معظم النهار مع سقراط ، فلما كان الصبح الأخير ، بكرنا باللقاء عن الموعد المعهود[1] إذ علمنا فى الليلة السالفة أن السفينة المقدسة قد عادت من دلفى فتواعدنا على اللقاء فى المكان المضروب جد مبكرين ، فما كدنا نبلغ السجن حتى طلع السجان المسئول عن حراسة السجن ، ولم يأذن لنا بالدخول ، بل أمرنا أن ننتظر حتى يدعونا ، « لأن الأحد عشر مع سقراط الآن ، يرفعون عنه الأغلال ، ويأمرون بأن يكون اليوم قضاؤه المحتوم » كما قال . ولم يلبث أن عاد يجيز لنا الدخول ، وإذ فعلنا ألفينا سقراط قد خلص لتوه من الأصفاد ، واكزانتيب[1] ، التى تعرفها جالسة الى جانبه تحمل وليده بين ذراعيها ، فلم تكد تبصرنا حتى صاحت قائلة ماينتظر أن تقوله النساء : « أواه ياسقراط ! لتلك آخر مرة يتاح لك فيها أن تتحدث الى أصدقائك أو يتحدثون اليك » فنظر سقراط الى كريتون ، وقال : « مُرْ أحداً يا كريتون أن يذهب بها الى الدار » فساقها بعض حاشيته صارخة لادمة ، وما كادت تغيب عن النظر حتى انثنى سقراط ، وكان جالساً على سريره ، وأخذ يربت على ساقه قائلاً : « ما أعجب هذا الشىء الذى يسمونه اللذة ، وما أغرب صلته بالألم ، الذى قد يظن أنه واللذة نقيضان ، لأنهما لا يجتمعان معاً فى إنسان ، مع أنه لابد لمن يلتمس أحدهما أن يحمل معه الآخر ؛ إنهما اثنان ، ولكنهما ينبتان معاً من أصل واحد ، أو يتفرعان عن أرومة واحدة ، ولست أجد سبيلاً الى الشك فى أنه لو رآهما أيزوب Aesop ، لأنشأ عنهما قصة ، يصوّر فيها الله وهو يحاول أن يوفق بينهما فى الخصومة القائمة ، فان لم يوفق ، شد رأسيهما الى بعض فى وثاق واحد[2] ، وذلك علة أن يجىء الواحد فى أعقاب أخيه ، كما شاهدتُ فى نفسى ، إذ أحسست اللذة فى ساقى جاءت فى أثر الألم الذى أحدثه القيد فيها[3]

وهنا قال سيبيس : كم يسرنى حقاً ياسقراط أن تذكر أيزوب ، فقد ذكرنى ذلك بمسألة طرحها بعض الناس واستجابنى عنها اڤينوس الشاعر أمس الأول ، ولا ريب فى أنه سيعود

(١) اضطر الأتينيون إلى تأجيل تنفيذ الاعدام حتى تعود السفينة المقدسة من دلفى ، وقد استغرقت تلك السفينة فى رحلتها ثلاثين يوماً ، قضاها سقراط فى محاورة صفوة تلاميذه ، ويشير هنا فيدون إلى أن هؤلاء التلاميذ قد قصدوا إلى سقراط فى سجنه مبكرين فى آخر يوم من أيامه ، أى حينما علموا أن السفينة باتت على مقربة من أتينا لتطول مدة الحوار الأخير

(١) إكزانتيب هى زوج سقراط

(٢) أى خلقهما فى حيوان واحد ذى رأسين ، إشارة الى شدة الاتصال بينهما

(٣) تعمد أفلاطون أن يسوق على لسان سقراط هذه الملاحظة ، أى أن اللذة تعقب الألم ، تمهيداً لنظريته فى التبادل بين الأضداد ، التى سيجىء ذكرها بعد فى هذا الحوار

ثانية الى السؤال ، فحدثني بماذا أجيبه ، إن كنت تحب أن يظفر بالجواب . إنه أراد أن يعرف لماذا ، وأنت رهين السجن ، ولم تكتب من قبل بيتاً واحداً من الشعر ، تنظم قصص ايزوب وتنشىء تلك الانشودة إجلالاً لأبولو

فأجاب أنْ حَدِّثْه ياسيبيس بأنني لم أفكر فى مُنافَسَتِه ومنافسة أشعاره ، وحق ما أقول ، لأنني كنت أعلم أن لا قِبَلَ لى بذلك ، إنما أردت أن أرى هل أستطيع أن أمحو وهماً أحسسته عن بعض الرؤى ، فلكم أشارت الى هواتف الأحلام فى أيام الحياة « بأنني سأنشىء الموسيقى » وقد كان يطوف بى هذا الحلم فى صور متباينة ، ولكنه لازم عبارة بعينها ينطق بها أو بما يقرب منها دائماً : أَنْشِئْ الموسيقى وتَمَهَّدْها بالنماء ، هكذا كانت تهتف الرؤيا ، وقدخيل إلى منذ ذلك الحين أنها لم تُرد بذلك إلا أن تحفزنى وتبعثنى على دراسة الفلسفة التى كانت دَوْماً قصد الرِّى من حياتى ، والتى هى أسمى جوانب الموسيقى وأرفعها شأناً ، فكما ترى النظارةَ فى حلبة السباق يهيبون بالمتسابق المتحمس أن يجرى ، مع أنه يجرى فعلاً ، كذلك كانت رؤياى تأمرنى أن أؤدى ما كنت بالفعل قائماً بأدائه ، ولكنى لم أكن على يقين من هذا ، فربما قَصَدت الرؤيا بالموسيقى معنى الكلمة المعروف ، فرأيت أنى أكون آمنَ ، لو أرضيت هذا الشك ، وأطعت الرؤيا فيما تأمر به ، فأنشأت قبل رحيلى قليلاً من الشعر ، فهذا قضاء الموت يرقبنى ، وقد أمهلنى العيد قليلاً . فكتبت بادئ ذى بدء نشيداً فى تمجيد إلٰه هذا العيد ، ثم لما رأيت أن الشاعر الذى يراد له أن يكون شاعراً مبدعاً حقاً ، لا ينبغى أن يحشد ألفاظاً وكفى ، بل لابد له أن ينشئ قصصاً ، ولما لم تكن لدىّ قوة الانشاء ؛ أخذت طائفةً من قصص أيزوب ، ونظمتها شعراً ، فقد كانت مُيَسَّرة سهلة التناول ، وإنى بها لعليم . أنبئ أڤينوس بهذا ولا تجعله يبتئس ، وقل له إنى أود أن يَتَبَعَنى ، وألا يتلكأ إن كان رجلاً حكيماً ، فأغلب الظن أنى مرتحل عنكم اليوم ، إذ قال الأثينيون أن ليس لى من ذلك بد

قال سمياس ـ يالله من نبأ يُحمل لذلك الرجل ! أنى أقرر لكم وقد كنت رفيقاً له ملازماً ، أنه — كما عهدته — لن يأخذ بنصحك إلا مجبراً

قال سقراط ـ ولماذا ؟ أليس أڤينوس فيلسوفاً ؟

قال سمياس ـ أحسبه كذلك

إذن فسيكون راغباً فى الموت ، شأن كل رجل عنده روح الفلسفة ، ولو أنه لن ينتزع روحه بيده ، فقد أجمع الرأى على أن ليس ذلك صواباً

وهنا بَدَّلَ فى وضعه ، فأنزل ساقيه من السرير إلى الأرض ، ولبث جالساً حتى ختم الحوار

يتبع

زكى نجيب محمود

رضاء الله ومجـــد الوطن

يجتمعان

على الباخرتين المصريتين

«زمزم» و «الكوثر»

شركة مصر للملاحة البحرية

جهزتهما لحجاج بيت الله الحرام

بكل ما يوفر لهم أسباب الراحة والأمان .

(الاستعلام من ادارة الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة)